بنت شيخ القبيلة

تقص قصة هواها وتذكر سعادتها بزواجها من «حسن»
الذي احبته وآثرته على حبيب آخر يدعى «عمر»

خليل مطران

بُلِّغتُ من عيشي اعزَّ مرامِ وحَلَت لي اليقظات كالأحلامِ
يا غبطتي دومي فما تعدوكِ لي أمنيةٌ إن تسحي بدوامِ
في كل مطلع كوكب ومغيبهِ ذكرى تجدِّد لي عهود غرامي

* * *

ما عشتُ لا أسلو صباي ومربعاً منهُ درجتُ وفيهِ طاب مقامي
وعجيباتٍ من بنات قبيلتي خفرات ايماء فصاح كلامِ
من كل غانيةٍ بغالية الحلى في النفسِ عمّا يُقتنى بمحُطامِ
بدويّةٍ خلّابةٍ بجمالها قرنت حصاناتها الى الإقدامِ
تغدو على الرزقِ العسيرِ فما تني مجهودةً وتعودُ في الإظلامِ
وعلى القذى في عيشها تزكو بها شيَمٌ كورد السنة البسّامِ
إذ كنت أشهدُ وردهنّ وربما جاريتهنّ ولم اعجّ بعلامِ
او كنت اشهد لهوهنّ وهل يرى غيرُ العفاف ملاهيَ الآرامِ
واذا الرجال القافلون قد التقوا نادينَ بينَ مضاربٍ وخيامِ
يتحدثون بما اتوا أو ما وعوا من كل امرٍ في الأمور جُسامِ
ويقلُّ ان يتندوا لعظيم ما يلقونَ من كربٍ ومن آلامِ
هذي الفيافي كنَّ ملكاً هامداً احيوهُ بالأوساق والانعامِ
قومي السُّراة الباسلونَ ووالدي فيهم وليُّ الرأي والأحكامِ
سبّاقُ غاياتٍ الى العمران قد شمِلَ المزارعَ ملكهُ المترامي
شاد البناء الفخمَ بين حدائقٍ غنّاء يرويها العقيق الطامي

يا حبذا غيطانها ومشارفٌ ... سُقيا على القطن الجنيّ الناعي
تزهو دوارئهُ على عذباتهِ ... حيناً وتنطف بالنضار الضافي

* * *

ما كنتُ أسلم العيشَ بين كرامهِ ... في الحيّ من أهلي وبين كرامِ
لو لم يزدني الله من إنعامهِ ... فوق الذي امّلت من إنعامِ
عمّتْ فيها البِرُّ والآرابُ قد ... نثرت حوالِيها بغير نظامِ
وردت وآبت بالجرار مليئةً ... يوشكنَ ان يقطرنَ فوق الطامِ
فاذا كميٌّ لاح لي مترجلاً ... وأُوامهُ بادٍ فهاج أُوامي
لاحظتهُ للمرة الاولى فما ... لاحظت منهُ غير بدر تمامِ
وسقيتهُ وسقيت منهُ نواظري ... حتى تملينا وكلٌّ ظامي
ما خلت رؤيتهُ يهيجها سوى ... رؤيا بدتْ لي في لذيذ منامِ
أنوى يسائل عن ابي ويطيل في ... ما شاء عن اهلي من استفهامِ
يبغي التبسط في الحديث وما بهِ ... انسابُ اخوالٍ ولا أعمامي
ثم انثنى وبهجتي في ليلتي ... ما لم أذُقْ من لاعج وضرامِ
ولّى وفي الغد عاد يعتام الحمى ... أكرمْ بهِ من عائدٍ معتامِ
يسعى على هَدْيِ الهوى متسللاً ... والله يعلم ما سعى لحرامِ
ما زالَ يَرقبُني وعلاً سمعهُ ... مما أثار الوجدُ من أنغامي
حتى التقتْ ولم يرني امرهُ ... فإذا فتى الأُنس النبيلُ أمامي
آنستُ في «حَسَنٍ» المحاسنَ كلها ... وعددتُ في أعوامهِ أعوامي
ومذ التقينا باح لي بهيامهِ ... وكتمتُ سرّي فاستشفّ هيامي

* * *

هي ساعةٌ كشفَ الزجاجة ظلامَها ... عن مقلتي بالطالع المستامِ
يا طيبها لو لم يفاجئني بها ... «عُمَرٌ» بلحظٍ مرسَلٍ كسهامِ
عُمَرٌ معاذَ الله ان أرضى بهِ ... بَعْلاً وما أرضاهُ في خدّامي
أأبيع خيرَ فتىً بشرِّ فتى وفي ... خَلْتي وفي خُلُقي إباءُ الذامِ
حَسْداً لمن يهوى حبيبي قد قضى ... وطري وأعلى في النساء مقامي
عُمَرٌ جديدٌ بالقران صفا لنا ... لا كدّرتهُ طوارئُ الأيامِ